المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً. وبعد:

فهذه مقدمة أقدمها بين يدي كتاب (**الناسخ والمنسوخ**) وهي تشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول وفيه:

أ ــ أهمية التراث.

المبحث الثاني: أشهر من ألّف في الناسخ والمنسوخ.

المبحث الثالث: ترجمة المصنّف، وتشمل:

أ ــ نبذة عن حياته.

ب ــ أسرته.

جـ ــ مذهبه.

د ــ شيوخه.

هـ ــ تلاميذه.

و ــ منزلته العلمية وأقوال العلماء فيه.

ز ــ مؤلفاته.

حـ ــ وفاته.

المبحث الرابع: بين يدي المخطوط، و يشمل:

أ ــ نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

ب ــ وصف النسخ الخطية.

جـ ــ منهج المؤلف في المخطوط.

د ــ عملي في التحقيق.

مقدمة

المبحث الأول

أ ــ أهمية التراث:

بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وجعله خاتم النبيين، وجعل شريعته ناسخة لشرائع المرسلين السابقين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، فقد كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعِثَ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة، إلى أن يرثَ اللهُ الأرض ومن عليها.

ولقد كان بعض أحكام شريعته صلى الله عليه وسلم يُشرّع حسب الوقائع والحوادث، وبعضها يُشرّع ابتداءً.

وأنزل اللهُ بعض هذه الأحكام وهو يعلم أنها لفترة معينة ومدة محدودة، فلما انقضت تلك المدة رفع الله الحكم الأول وأنزل بدلاً منه حكماً آخر، أو ردّ العباد إلى ما كانوا عليه قبل أن يُشرّع الحكم الأول.

وقد دلّ القرآن على ذلك فقال: (وإذا بدّلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر، بل أكثرهم لا يعلمون)(١).

ولم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى أرسى قواعد الدين، وأسّس أسسه وأقام أركانه، وكمُل الدين وتمت الشريعة كما قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)(٢).

ووَرّث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك التركة القيمة من علم الشريعة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ليحكموا على ضوئها، ويشيدوا على أسسها، ويعمروا حياتهم على وفقها وحسب منهاجها. وعرف العلماء من السلف الصالح رضي الله عنهم مسؤوليتهم تُجاه دينهم، فحملوا الأمانة كأحسن ما تُحمل، وأدّوا دورهم خير أداء، وانبروا لمسائل الدين ــ كلياته وجزئياته ــ فأشبعوها بحثاً وتمحيصاً وشرحاً وتدليلاً، وعكفوا على قواعده ففرعوا عليها كل

---

١ ـ النحل: ١٠١.

٢ ـ المائدة: ٣.

دقيق وجليل من حياة مجتمعهم وأمتهم، حسب ما أوتوا من علم، وما وفقوا إليه من عطاء، حتى يمكنك أن تقول جازماً: إنه لا يوجد بحث من مباحث هذه الشريعة إلا كتب فيه علماء هذه الأمة وحرروه ما بين مسهب وموجز.

وإن المنصف ليعجب من عظمة ذلك التراث العلمي الذي خلّفوه، ويذعن لما يشبه الاعجاز الذي جاء على أيديهم، ويقف مشدوهاً أمام دقة نظرهم وحسن استنباطهم وقوة حجتهم وغزارة علومهم.

وأكبر شاهد على ما نقول، ما تزخر به الخزائن والمكتبات في شتى أقطار المعمورة من التراث الفكري الضخم الذي خلّفه لنا ذلك الركب الكريم من علماء هذه الأمة، ولا زالت الأغلبية العظمى منه مخطوطة تنتظر من يمد يده لاستخراجها ــ وإنقاذها من أن تأكلها الأرضة ويتراكم عليها غبار السنين ــ ليكون ذلك التراث الضخم في متناول أيدي العلماء والدارسين وليكون ذلك رداً لجميل أولئك الأسلاف الذين أفنوا أعمارهم في تأليف هذه الكتب، ليضعوا أمتهم على الطريق العلمي الصحيح.

إن إحياء التراث هو منطلق كل أمة تريد النهوض من كبوتها، واليقظة من غفلتها، ومن ثم كان إحياء التراث ودراسته وتمثله هو الخطوة الأولى في كل بناء جديد، وإذا كان ذلك يصح في كل أمة، فإنه بالنسبة لأمتنا أصح وآكد، وذلك أن الاسلام هو لحمة هذه الأمة وسداها، فهو الذي يعطيها القيم والموازين، وهو الذي يرسم لها مناهج حياتها. فعنه تتلقى وبه تتوجه، ومن ثم كان التراث الضخم لهذه الأمة عليه ميسم الاسلام وطابعه في كل مجال من مجالات العلم والمعرفة(٣).

ونظراً لما للتراث من هذه الأهمية البالغة والخطر العظيم، والقيمة الرفيعة، فقد رأيت من واجبي أن أشارك في إحياء التراث قدر المستطاع، وأن يكون أول عمل أقوم به في هذا المجال هو كتابي هذا، ليكون أول خطوة في مدارج العلم والمعرفة. هذا وإن كان أولئك السلف لم يتركوا علماً من العلوم، وفناً من الفنون إلا وأفاضوا البحث فيه، وتناولوه بالدراسة والتمحيص. إلا أن لعلم الناسخ والمنسوخ أهمية خاصة فهو علم رفيع الشأن، جليل القدر، لتعلقه بالقرآن العظيم، ويدخل تعلمه وتعليمه تحت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»(٤) أسأل الله أن يجعلني منهم.

٣ ـ عن تصدير كتاب الايضاح ص ٤.

٤ ـ رواه البخاري. أنظر فتح الباري ٩: ٧٤.

ثم إن العلماء اتفقوا على أن معرفة هذا العلم فرض لكل من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أو استنباط الأحكام منه، وكذلك من يتصدى لمهمة الافتاء أو القضاء، وذلك حتى لا يوجب على الناس أمراً لم يوجبه الله عليهم، أو يسقط عنهم أمراً أوجبه الله عليهم.

روى ابن عبد البر بسنده عن يحيى بن أكثر قال: ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه، لأن الأخذ بناسخه واجب فرضا، والعمل به واجب لازم ديانة، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهى إليه، فالواجب على كل عالم علم ذلك لئلا يوجب على نفسه وعلى عباد الله أمراً لم يوجبه الله أو يضع عنهم فرضاً أوجبه الله.(٥) ا.هـ

وقال مكي بن أبي طالب: إن من آكد ما عنى به أهل العلم والقرآن بفهمه وحفظه والنظر فيه ــ من علوم القرآن وسارعوا إلى البحث عن فهمه وعلمه وأصوله ــ علم ناسخ القرآن ومنسوخه، فهو علم لا يسع كل من تعلق بأدنى علم من علوم الديانة جهله(٦) ا.هـ

ولقد شغفت بالبحث عن كتب التراث خلال دراستي في السنة المنهجية فوقع بين يدي كتاب (الناسخ والمنسوخ) للأستاذ الإمام أبي منصور البغدادي.

ولما كان هذا الامام من أئمة العلم المتقدمين، فقد عاش في القرن الرابع الهجري الذي كان عصر الثقافة الاسلامية الجامعة لشتات العلوم والمعارف.

ولما تميز به هذا الكتاب من حسن ترتيب وتبويب ولمعالجته لقضية من أهم القضايا التي دارت فيها رحى الاختلاف بين العلماء وهي قضية النسخ، فقد عزمت مستعيناً بالله سبحانه وتعالى على تحقيق كتابه وإخراجه في حلة قشيبة وثوب جديد.

ومما تجدر الاشارة إليه أن الدكتور [مصطفى زيد] رحمه الله، صاحب كتاب (النسخ في القرآن الكريم) كان قد رشّح كتاب (الناسخ والمنسوخ) لأبي منصور، وكتاب (نواسخ القرآن) لابن الجوزي للتحقيق والنشر(٧). فالحمد لله الذي وفقنا لتحقيق أحد هذين السفرين الجليلين.

٥ ـ عن جامع بيان العلم وفضله ٢: ٢٨.

٦ ـ الايضاح ص ٣٩.

٧ ـ أنظر النسخ في القرآن ١: ٣٩٥.

المبحث الثاني

أشهر من ألّف في الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم

ألّف في الناسخ والمنسوخ في القرآن خلق لا يحصون كما ذكر الزركشي في البرهان[1]، والسيوطي في الاتقان[2]، وأنا أذكر أشهر من ألّف في هذا العلم الشريف:

١) قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة ١١٨هـ واسم كتابه (الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى) وتوجد منه قطعة مخطوطة بمكتبة دار الكتب الظاهرية تحت رقم /٧٨٩٩/ علوم قرآن، عدد أوراقها /٣/ ورقات، وعدد الأسطر /٣٧/ سطراً، ويوجد منها نسخة مصورة «ميكروفيلم» بمركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.

٢) ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤هـ وألّف كتابه (الناسخ والمنسوخ) وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة أحمد الثالث باستانبول، تحت رقم /١٤٣/ عدد أوراقها /٢١٠/ ورقة، منها نسخة مصورة بدار الكتب القطرية.

٣) ثم جاء أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥هـ وألّف كتاباً في الناسخ والمنسوخ.

٤) ثم جاء عبد الله بن الحسين بن القاسم الحسني ــ كان حياً قبل سنة ٣٠٠هـ ــ وألّف كتاب (الناسخ والمنسوخ) ومنه نسخة موجودة في مكتبة «كورسني» بإيطاليا تحت رقم /٣٣٤/ ومنه نسخة مصورة «ميكروفيلم» بمركز البحث العلمي بمكة المكرمة تحت رقم /٤٤٧/ تفسير وعلوم قرآن، عدد أوراقه /٣٥/ ورقة وعدد الأسطر /١٧/ سطراً.

٥) ثم جاء أبو جعفر محمد بن أحمد بن اسماعيل المعروف بالنحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ وألّف كتابه (الناسخ والمنسوخ) وقد طبع طبعة قديمة، ولا يوجد للكتاب أثر في الأسواق فهو بحاجة إلى إعادة طبعه.

٦) ثم جاء الأستاذ الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي المتوفى سنة ٤٢٩هـ وألّف كتابه (الناسخ والمنسوخ) وهو هذا.

١ ـ ٢ : ٢٨.

٢ ـ ٢ : ٢٠.

٧) ثم جاء أبو [illegible] مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ وألف كتاب (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه) وقد قام بتحقيقه الدكتور أحمد حسن فرحات ونشرته مشكورة جامعة الإمام محمدبن سعود الاسلامية في الرياض.

٨) ثم جاء القاضي أبوبكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري المتوفى سنة ٥٤٣هـ وألف كتابه (الناسخ والمنسوخ في القرآن) ومنه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم /٢٠٢٤/ عنها نسخة مصورة «ميكروفيلم» بمركز البحث العلمي بمكة المكرمة تحت رقم /٤٥٢/ تفسير وعلوم قرآن، وعدد أوراقه /٧٨/ ورقة.

٩) جاء بعد ذلك جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ وألف كتابه (نواسخ القرآن) منه نسخة مصورة في معهد مخطوطات الجامعة العربية تحت رقم /١٨٧/ تفسير عنها نسخة مصورة «ميكروفيلم» في مركز البحث العلمي بمكة المكرمة تحت رقم /٤٧٣/ تفسير وعلوم قرآن، وعدد أوراق الكتاب /١٣٤/ ورقة وعدد الأسطر /١٥/ سطراً.

المبحث الثالث

ترجمة المصنِّف(١)

نتكلم في هذه الترجمة الموجزة عن علم كبير من أعلام المسلمين، وإمام عظيم من أئمة هذا الدين، العالم المبدع في مختلف الفنون وأحد الذين خدموا هذا الدين بتآليفه النافعة، ودافع عن أهل السنّة والجماعة في كتبه القيمة، وكشف زيغ أهل البدع والضلال الحائدة عن منهج الحق المتنكبة للصراط المستقيم، الحبر المفسر الأصولي الفقهية.

ذلكم هو الأستاذ الإمام **أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي.**

أ ــ نبذة عن حياته:

ولد ببغداد ونشأ بها(٢) ولم تشر المصادر التي ترجمت له إلى السنة التي ولد فيها، ولا كم عمره عند موته، لكنه روى عن أبي عمرو محمدبن جعفر المعدل المتوفى سنة ٣٦٠هـ، فلعله ولد في أوائل العقد الخامس من القرن الرابع الهجري.

رحل أبو منصور مع أبيه إلى نيسابور ونزل بها(٣) وتلقى العلم عن أكابر شيوخها، خاصة الأستاذ أبا إسحق الاسفرائيني، فقد تفقه عليه وقرأ عليه أصول الدين(٤).

كان أبو منصور سخي النفس، طيب الأخلاق(٥) وكان ذا مال وثروة فأنفقه على أهل العلم والحديث حتى افتقر ولم يكتسب بعلمه مالاً(٦).

---

١ ـ له ترجمة في تبيين كذب المفتري ص ٢٥٣، وفيات الأعيان ٣: ٢٠٣، فوات الوفيات ٢: ٣٧٠، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٣٦، طبقات الشافعية للأسنوي ١: ١٩٤، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٢: ٣٢٥، مرآة الجنان ٣: ٥٢، البداية والنهاية ١٢: ٤٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢: ٢٦٨، أنباه الرواة ٢: ١٨٥، بغية الوعاة ٢: ١٠٥، طبقات المفسرين للداوي ١: ٣٢٧، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ١٣٩، هدية العارفين ١: ٦٠٦، الاعلام ٤: ١٧٣، معجم المؤلفين ٥: ٣٠٩، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ٤٨٢، الملحق ١: ٦٦٦.

٢ ـ فوات الوفيات ٢: ٣٧١.

٣ ـ المصدر السابق ٢: ٢٧١، وفيات الأعيان ٣: ٢٠٣.

٤ ـ المصدرين السابقين بنفس الأرقام.

٥ ـ بغية الوعاة ٢: ١٠٥.

٦ ـ وفيات الأعيان ٣: ٢٠٣، أنباه الرواة ٢: ١٨٥.

خرج في أواخر أيامه من نيسابور بسبب فتنة وقعت بها من التركمان إلى اسفراين، فلما حصل بها ابتهج الناس بمقدمه إلى الحد الذي لا يوصف(٧) فلم يبق بها إلا يسيراً حتى مات سنة ٤٢٩هـ، واتفق أهل العلم على دفنه إلى جانب أستاذه أبي إسحق الاسفرائيني(٨).

ب ــ أسرته:

كان والده طاهر أبو عبد الله من أهل العلم، وصفه بذلك الاسنوى(٩) حدث بنيسابور عن أبي حامد محمدبن هارون الحضرمي وأحمدبن قاسم، وحدّث عن الحاكم أبو عبد الله البيع، كان من أفتى العراقيين وأحسنهم كتابة وأكثرهم فائدة(١٠).

ولا شك أن لوالد أبي منصور أكبر الأثر عليه من حيث طلبه للعلم وحرصه عليه.

أما بقية أفراد أسرته فلم تذكر كتب التراجم عنهم شيئاً سوى ما ذكره ابن هداية الله أنه كان لأبي منصور أخ اسمه عبد الله وكنيته أبو القاسم، وإنه كان إماماً ذا علوم متعددة وجاه عريض ومال كثير وسخاء واسع، وأنه نزل ببلخ ودرس بناظميتها ومات بها(١١).

وترجم السبكي لأبي القاسم هذا بأنه عبد الله بن طاهر بن محمد بن شهفور الإمام أبي القاسم التميمي من أهل اسفراين، لكن ذكر ما يفيد أنه حفيد الأستاذ أبي منصور حيث ذكر في ترجمته أنه سمع الحديث من جده لأمه الأستاذ أبي منصور وذكر أنه توفي سنة ٤٨٨هـ(١٢).

ولعله اشتبه على ابن هداية الله فحكم أنه أخ لأبي منصور لتوافق اسم الأب والجد ولوجود أخ لأبي منصور يدعى عبد الله، فقد ذكر الخطيب البغدادي والسبكي في ترجمة والد أبي منصور أنه يكنى أبا عبد الله(١٣).

غير أنهما وإن اتفقا في اسم الأب والجد إلا أنهما يفترقان في الجد الثاني فهو عند أبي منصور عبد الله وعند أبي القاسم المذكور شهفور.

٧ ـ تبيين كذب المفترى ص ٢٥٤، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٣٧

٨ ـ تبيين كذب المفترى ص٢٥٣، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٣٨.

٩ ـ طبقات الشافعية ١: ١٩٤.

١٠ ـ تاريخ بغداد ٩: ٣٥٨، طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٠٤.

١١ ـ طبقات الشافعية ص٤٧.

١٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى ٥: ٦٣.

١٣ ـ أنظر تاريخ بغداد ٩: ٣٥٨، طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٣٠٤.

جـ ــ مذهبه:

كان أبو منصور شافعي المذهب كما صرح بذلك. أنظر ص٧٧ من هذا الكتاب. وكان للبيئة التي عاش فيها والعلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم مثل أبي إسحق الاسفرائيني وابن عدي وأبي بكر الاسماعيلي وغيرهم ــ أثر في ذلك. وقد صنف الكتب في مذهب الشافعي مثل (شرح مفتاح بن القاص)(١٤) وبلغ من حبه لمذهب الشافعي وتمسكه به أن صنف كتاباً رد فيه على أبي عبد الله الجرجاني لترجيحه مذهب أبي حنيفة سماه (نقض ما عمله أبو عبد الله الجرجاني في ترجيح مذهب أبي حنيفة) قال ابن الصلاح: «وكل منهما لم يخل كلامه من ادعاء ما ليس له، والتشنيع بما لم يؤبه، مع وَهْم كثير أتَيَاه»(١٥).

د ــ شيوخه:

كان أبو منصور كثير الشيوخ كما قال عنه السيوطي(١٦)، فقد تلقى العلم عن طائفة من أعلام عصره الجامعين لمختلف العلوم والفنون نذكر أشهرهم:

كان أكبر شيوخه وأكثرهم أخذاً عنه وتلقياً منه الإمام الكبير الأستاذ أبا إسحق الأسفرائيني، فقد تفقه عليه وقرأ عليه أصول الدين وأقعده أبو إسحق بعده للاملاء مكانه بمسجد عقيل، فأملى سنين(١٧) كما سمع وحدث عن الأئمة أبي بكر الاسماعيلي وأبي أحمدبن عدي(١٨) وأبي عمرو محمدبن جعفر بن المعدل وأبي عمروبن نجيد(١٩).

ونترجم لكل من هؤلاء ترجمة موجزة.

١ ـ الإمام الكبير الأستاذ أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الاسفرائيني الملقب بركن الدين الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء لتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة، أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، وأقر له بالعلم أهل العراق وخراسان، توفي بنيسابور سنة ٤١٨هـ ثم نقل إلى اسفراين ودفن بها(٢٠) رحمه الله تعالى.

١٤ ـ أنظر طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٤٠، كشف الظنون ٢: ١٧٦٩

١٥ ـ عن طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٤٠، كشف الظنون ١: ٣٩٨.

١٦ ـ بغية الوعاة ٢: ١٠٥.

١٧ ـ وفيات الأعيان ٣: ٢٠٣، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٣٨.

١٨ ـ تبيين كذب المفترى ص ٢٥٤، طبقات الشافعية الكبرى ٥: ١٣٧.

١٩ ـ طبقات الشافعية الكبرى ٣: ٢٢٢، ٥: ١٣٧، ١٤١.

٢٠ ـ وفيات الأعيان ١: ٢٨.

المبحث الرابع

بين يدي المخطوط

أ ــ نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

هناك عدة أمور تؤكد نسبة كتاب (الناسخ والمنسوخ) إلى الأستاذ أبي منصور البغدادي:

(١) نسب هذا الكتاب لأبي منصور حاجي خليفة في كشف الظنون[١] والبغدادي في هدية العارفين[٢] و بروكلمان في تاريخ الأدب العربي[٣] والزركلي في الاعلام[٤].

٢) إن هناك عبارات وردت في هذا المخطوط هي عينها في كتب أخرى للمصنف فقد عرف النسخ هنا بأنه «بيان انتهاء مدة التعبد»[٥] وهو نفس التعريف الذي ذكره في كتابه أصول الدين[٦] بالحرف الواحد.

كذلك عندما تكلم عن شروط النسخ ذكر هنا شروطاً[٧] هي نفسها الواردة في كتابه أصول الدين[٨] و بنفس العبارات الواردة في هذا المصنف.

كذلك أورد في الكتاب المذكور «أصول الدين» نفس العبارات التي أوردها في هذا الكتاب عند كلامه على وجوب كون الناسخ في رتبة المنسوخ أو أقوى منه[٩] وكذلك عند كلامه على أقسام النسخ[١٠].

كذلك يتشابه أسلوبه في مقدمة هذا الكتاب إلى حد كبير مع أسلوبه في مقدمة كتابه الفرق بين الفرق فقد ابتدأ مقدمة كتابه هذا بعد أن حمد الله وصلى على رسوله صلى الله عليه

---

١ - ٢ : ١٩٢١.

٢ - ١ : ٦٠٦.

٣ - ١ : ٤٨٢.

٤ - ٤ : ١٧٣.

٥ - انظر الباب الأول من هذا الكتاب ص ٩.

٦ - أصول الدين للمصنف ص ٢٢٦.

٧ - انظر الباب الثاني من هذا الكتاب ص ١٠.

٨ - أصول الدين للمصنف ص ٢٢٧.

٩ - انظر ص ١١ من هذا الكتاب، و ص ٢٢٨ من كتاب أصول الدين.

١٠ - انظر ص ٢٠ من هذا الكتاب، ص ٢٢٦ من كتاب أصول الدين.